الأحنف بن قيس
سيد أهل البصرة، وخطيبهم وأحلمهم

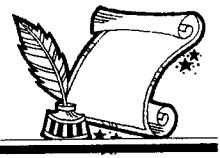

مع الأحنف بن قيس
سيد أهل البصرة!

هو أبو بحر التميمى السعدى ، واسمه «الضَّحّاك»، ولقبُه الأحنف وهو مشهور به.

أدرك النبى ﷺ ولم يجتمع به ، وقيل : إنه دعا له.

وكان يُضرب بحلْمه المثل ، وقال له عمر - رضي الله عنه - الأحنف سيد أهل البصرة.

ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعى أهل البصرة ، وقال : كان ثقةً مأمونًا قليلَ الحديث .

وأخرج أحمد فى كتاب الزهد أن رجلين بلَّغا الأحنف بن قيس **«أن النبى ﷺ دعا له فسجد»** .

وله قصص يطول ذكرها مع عمر ، ثم مَعَ عثمان ، ثم مع على ، ثم مع معاوية ، ثم من بعده إلى أن مات بالبصرة سنة اثنتين وسبعين ، زمن ولاية «مُصعب بن الزُّبيْر» .

ومشى مصعب فى جنازته وقال : **«ذهب اليوم الحزم والرأى»**

وقد دُعِى «الأحنفَ» لحنَفٍ وميل والْتَواء فى رجليه حين وُلد بالبصرة .

وصفه الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» بقوله : حث بنى تميم على اعتناق الإسلام .

وعمل فى خدمة «عبد الله بن عامر» بإظهار مواهب قيادية باهرة .

ووقف محايداً فى «معركة الجمل» .

وانضم إلى صَف علىٍّ فى «صِفّين» .

واشترك فى الحملة على «المختار[1] » .

ولقى ربه بالكوفة (سنة ٧٢هـ - ٦٩١م) .

وشخصية الأحنف متعددة الجوانب ، فقد قال له الخليفة عمر - يوم وفد عليه ، وكان أحدث القوم سنا - : «أنت رئيس وفدك ، وخطيب مِصْرك»

وكان كما يقول «الحُصَرى القَيروانى» فى كتابه : «زهر الآداب» : الأحنف من الخطباء الفضلاء النسّاك .

وقد أثبت لكل من حوله أن الإنسانَ بنفسِه لا بجسمه ، فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان !

وكثيرا ما كان معاوية بن أبى سفيان يُثْنى عليه ، ويقول له : **لله دَرّك يا أبا بحر!!**

وقيل له ، وهو سيد قومه : من السّيد ؟ فقال :

«الذليلُ فى نفسه ، الأحمقُ فى ماله ، المعنىّ بأمر قومه ، الناظرُ للعامّة» .

وسئل عن سمات الرجل الفاضل فقال :

«هو الذى لا يُحَقّر ضعيفا ، ولا يَحْسُد شريفا» .

وكان حكيماً حليماً يَظُنّ بك الظن كأَنّ قد رأى وقد سمع ! فتعال إليه لنقفَ على مروءته ، وسعيه فى الخير ، وإمساكه عن المسىء ، وصبره عند الشدائد .

إن حياته كنز ، وسيرته مدرسة ، وسيظل كتابا مفتوحا للأجيال!

فتعال نتابع سيد أهل البصرة وخطيبهم وأحلمهم!

---

(١) هو المختار بن أبى عبيد الثقفى ؛ ثار بالعراق على الأمويين وانتقم من قاتل الحسَيْن ، كان يدّعى أنه يوحَى إليه ، فقتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ [شذرات الذهب : ٧٤/١] .

أول لقاء بين الأحنف وعمر بن الخطاب

روى عيسى بن داب قال :

أول ما عُرف من تقدُّم «الأحنف بن قيس» أنه وفد على «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - وكان أحدثَ القوم سِنًّا ، وأقبحَهم منظرا ، فتكلم كل رجل من الوفد بحاجته فى خاصته ، والأحنف ساكت ، فقال له عمر : قُلْ يا فَتَى ! ، فقام فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن العرب نزلت بمساكنَ طيبة ، ذات ثمار وأنهار عذْبة ، وأكنّة [1] ظليلة ، ومواطن فسيحة !

وإنا نزلنا بسَبخَة نَشّاشة [2] ، ماؤها ملح ، وأفنيتها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء العذب فى مثل حلق النعامة!

كنا يا أمير المؤمنين نَحْفِرُ نهرا يقدر ماؤه ، حتى تأتى الأمة فتغرف بجرتها وإنائها ، ونوشك أن نهلك.

قال : ثم ماذا؟

قال : تزيد فى صاعنا ومُدّنا ، وتثبت مَن تلاحَق فى العطاء من ذريتنا .

قال : ثم ماذا ؟

قال: تخفف عن ضعيفنا ، وتُنصف قوينا ، وتتعاهد ثغورنا ، وتجهزُ بعثَنا .

قال : ثم ماذا ؟

---

(١) الأكنّة ،والكنان والأكنان : كل مايرد الحر والبرد عن الإنسان من الأبنية والغيران [جمع غار] ونحوها ، وقد جاءت الأكنان في القرآن .

(٢) لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها . وهكذا تكون الأرض السبخة .

قال : إلى هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام .

قال : أنت رئيس وفدك ، وخطيب مِصْرِك ، قم عن موضعِك الذى أنت فيه ، فأدناه [1] حتى أقعده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال : «أنت سيد تميم» ، فبقيت له السيادة حتى مات!

بم بلغ الأحنف ما بلغ ؟!

لَمَّا قَدِمَ «الأحنفُ» الكوفَة فى أيام «مصعب بن الزُّبَيْر» رآه رجلاً قصيرًا أعورَ دَميمًا أحنف الرجلين، فقال له : يا أبا بحر، بأى شىء بلغت فى الناس ما أَرَى ؟ ؛ فوالله ما أنت بأشرفِ قومك ، ولا أجودِهم!

فقال : يا بن أخى : بخلاف ما أنت فيه !

قال : وماهو ؟

قال : تركى من أمرك مالا يعنينى ، كما عناك من أمرى مالا تتركه !

أنت بالنفس لا بالجسم إنسان !

قال عبدُ الملك بن عُمَيْر :

قدم إلينا الأحنف ، فما رأينا خطة [2] تذم فى رجل إلا رأيناها فيه :

كان أصلعَ الرأس ، مُتَراكمَ الأسنان ، أشدق [3] ، مائل الذقن، ناتئ الوجنتين ، ماحق العينين [4] ، خفيف العارضين [5] ، أحنف

---

(١) أدناه : قرّبه منه .

(٢) الخُطة : الأمر أو الحالة .

(٣) واسع الشدقين .

(٤) ناقصهما لذهاب إحدى عينيه .

(٥) خفيف شعر العارضين وهما صفحتا الخد .

الرجلين ، وكانت العين تقتحمه دمامة ، وقلة رُواء [1] ، ولكنه إذا تكلّم جلّى نفسه .

وهو الذى خطب بالبصرة حين اختلفت الأحياء ، وتنازعت القبائل ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

«يا معشرَ الأَزْدِ وربيعة ، أنتم إخواننا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الصِّهر ، وأكفاؤنا فى النسب ، وجيراننا فى الدار ، ويدنا على العدو ، ووالله لأَزْد البصرة أحبّ إلينا من تميم الشام ، وفى أموالنا وأحلامنا [2] سعة لكم ولنا» .

وقد كان خطباء البصرة فى هذا اليوم تكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أصغت القبائل إليه ، وانثالت[3] عليه ، وقال الناس

هذا «أبو بحر» ، وهذا «خطيب بنى تميم» ، وحضر ذلك الجمع جارية لآل المهلب ، فذهبت تروم النظر إليه ، فاعتاص[4] ذلك عليها ، فأشرفت عليه من دارها ، فلما رأته والأبصار خاشعة لكلامه ، ورأت دمامة خلقه ، وكثرة آفاتِ جوارحه قالت :عدمت هذه الشخصية، ولو افترّت [5] عن فصل الخطاب!»

الأحنف وزياد

خطب زياد ، فقام عبد الله بن الأهتم فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيتَ الحكمة وفصلَ الخطاب !

فقال له زياد : كذبت ، ذاك نبىّ اللّه داودُ عليه السلام [6].

---

(١) الرُّواء : المنظر الحسَن . (٢) أحلامنا : عقولنا .

(٣) اجتمعوا ، وأتوه من كل ناحية . (٤) اعتاص : صعب ، وكان عويصا .

(٥) افترت : ابتسمت ثناياها . وانفرجت شفتاها عن حلو الكلام وأبلغه .

(٦) فهو الذى قال فيه : ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [سورة ص : ٢٠] .

فقام إليه «الأحنف بن قيس» ، فقال:

إنما الثناء بعد البَلاء [1]، والحمدُ بعد العَطاء ، وإنا لا نُثنى حتى نبتلى ، ولا نحمد حتى نُعطَى !

فقال زياد : صدقت.

الأحنف ومعاوية

دخل الأحنف على «معاوية» ، ويزيد بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجابا ، فقال : يا أبا بحر ، ما تقول فى الولَد ؟

فعلم ما أراد ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ هم عمادُ ظُهورنا ، وثمرةُ قلوبنا، وقرةُ عيوننا ، بهم نصولُ على أعدائنا ، وهم الخَلَف منا بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماءً ظليلة !

إن سألوك فأعطهم .

وإن استعتبوك [2] فأعتبهم .

ولا تمنعهم رِفْدَك [3] ، فيملّوا قربك ، ويستثقلوا جنابك ، ويتمنّوا وفاتك !

فقال معاوية : لله دَرّك [4] يا أبا بحر ، هم كما قلت !

أرأيت ما للكلمة الحلوة الطيبة بين يدي السلطان من أثر في حياة الأبناء ، وهم نصف الحاضر ، وكل المستقبل ؟!

إن قضية التربية والتعليم هي الشغل الشاغل للأمم في عصرنا !

---

(١) البلاء : الاختبار ، والتجربة .

(٢) استعتبوك : استرضوك وأرضوك ، فأعتبهم : فاقبل منهم اعتذارهم ، واسترضاءهم لك .

(٣) الرفد : العطاء .

(٤) أسلوب يقال في المدح والتعجب .

ما بالُك يا أبا بحر؟!

لما نَصّبَ معاويةُ ابنهَ يزيدَ لولاية العهد أقعده قبةً حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاويةَ ، ثم يميلون إلى يزيد حتى جاءه رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية فقال :

ياأمير المؤمنين ؛ اعلم أنك لو لم تُوَلّ هذا أمور المسلمين لأضعتها - والأحنف جالس - فقال معاوية: ما بالك لا تقول ، يا أبا بحر؟! فقال :

«أخافُ اللّهَ إن كذبتُ ، وأخافُكُم إن صَدَقْت!».

فقال معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا ، وأمر للرجل بألوف ! فلما خرج الأحنف ، لقيه الرجل بالباب ، فقال يا أبا بحر : إنى لأعلم أن شر ما خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ، فلسنا نطمع فى استخدامها إلا بما سمعت !

فقال له الأحنف : يا هذا أَمْسِك ، فإنّ ذاالوجهين خليق [1] ألا يكون عند الله وجيها !

وعلى مثل هذين الموقفين تقوم العلاقات بين الناس ، فاختر لنفسك ما تكون به عند الله وجيهاً ، وياويل ذا الوجهين من الله والناس!

خبرات وتجارب فى كلمات

● **الأحنف والمال :**

رأى الأحنف بن قيس مع رجل درهما ، فقال له : تحبه ؟ قال : نعم .

(١) خليق : جدير به

قال الأحنف : أما إنه لا ينفعك حتى تُفَارقَه !

● **الأحنف والإنصاف :**

قال الأحنف : ما عرضتُ الإنصاف على رجل فقبله إلا هِبتُه ، ولا أباه إلا طمعت فيه .

● **من السيد ؟**

قيل للأحنف : من السيد ؟ قال :

الذليل فى نفسه ، الأحمق فى ماله ، المعنىّ بأمر قومه ، الناظر للعامة.

● **الجليس الصالح ، والجليس السوء :**

قال : رب رجل لا تُمَلُّ فوائدُه وإن غاب ، وآخر لا يسلم جليسُه ، وإن احترسَ .

● **كلمة نادرة !**

قال الأحنف : سهرت ليلةً فى طلب كلمةٍ أُرْضِى بها سلطانى ، ولا أُسخطُ بها ربى ، فما وجدتهَا [1] !

● **إكرام السفهاء :**

وقال : أكرموا سفهاءكم ، فإنهم يكفونكم العارَ والنار!

● **الكسل والضجر :**

وقال : إياك والكسلَ ، والضجر ، فإنك إن كَسِلْت لم تؤدّ حقًّا ، وإن ضَجِرْت لم تصْبِر على حقّ !

● **من سمات الرجل الفاضل :**

ذكر الأحنف رجلا فقال :

(١) وقريب منه : رضى الناس غاية لا تُدْرك!

لا يُحَقِّر ضعيفاً ، ولا يَحْسُد شريفاً .

● **من الشريف عنده ؟**

قال الأحنف : الشريف مَن عُدّت سَقَطَاتُه !

● **اللئيم والكريم :**

قيل له : ما اللؤم ؟ قال : الاستقصاء على الملهوف (التأخر عن نجدته) .

قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتيال للمعروف .

● **كثرة الشكوى !**

سمع رجلا يقول : مابت البارحة من وجع ضِرس، وجعل يشكو ويُكثر فى الشكوى!

فقال الأحنف : كم تُكثر ؟ فوالله لقد ذهبت عينى منذ ثلاثين سنة ، فما قلت لأحد!

● **فراسة الأحنف :**

قال يومَ قُتِل مُصعب : انظروا إليه على أى دابة يخرج ؟

فإن خرج على بِرْذَون [1] فهو يريد الموت ، وإن خرج على فرس فهو يريد الهربَ ، فخرج على برذون .

● **نصيحة لمعاوية :**

قيل : لما أَجْمَع معاوية على البيعة ليزيد جمع الخطباء فتكلموا - والأحنف ساكت - فقال : يا أبا بحر ، ما منعك عن الكلام ؟ قال : أنت أعلمنا بيزيد ليله ونهاره ، وسرِّه وعلانيته ، فإن كنت تعلم أن الخلافة خيرٌ له فاستخلفه ، وإن كنت تعلم

(١) غير العربي من الخيل والبغال . وبهذا صدقت فراسة الأحنف ، ومصعب بن الزبير أمير وقائد من قواد أخيه وهزم المختار الثقفى وقتله ، وهزمه عبد الملك وقتله سنة ٧١هـ .

أنها شرّ له ، فلا تُوَلّه الدنيا ، وأنت تذهب إلى الآخرة ، فإنما لك ما طاب ، وعلينا أن نقول : سمعنا وأطعنا.

● **زواج الأكفاء :**

كان يقول : ما بعد الصواب إلا الخطأ ، وما بعد منعهن الأكفاء إلا بذلهن للسِّفلة والغوغاء ! (أراذل الناس) .

● **ممن تُطْلَبُ الحاجة ؟!**

كان يقول : لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة :

● إلى «كَذُوبٍ» ؛ فإنه يُقَرّبها عليك ، وهى بعيدة! ويباعدها وهى قريبة !

● ولا إلى «أحمق» فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

● ولا إلى «رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة» فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .

● **نعم الناصر :**

قال الأحنف : وجدت الحلمَ أنصرَ لى من الرجال.

● **لعل له عذرًا وأنت تلوم !!**

وكان يقول : رُبّ مَلُومٍ لا ذنبَ له !

● **حق الصديق**

وقال : من حقّ الصديق أن تُحْتَمَل له ثلاث :

ظلم الغضب ، وظلم الدّالّة [1]، وظلم الهفوة!

● **كأنما ألقمه حجرا !**

---

(١) جرأة الصديق على الصديق ، وما يُدلّ به عليه .

خطب معاوية مرة فقال : إن الله يقول فى كتابه : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] فعلام تلومونني إذا قصّرت فى أعْطِيَاتِكُم ؟ (أرزاقكم ، ومقدراتكم ، ومرتباتكم) .

فقال الأحنف : فجعلتَه أنتَ فى خزائنك ، وحُلْت بيننا وبينه، ولم تنزله إلا بقدر معلوم .

قال : فكأنما ألقمه حجرا .

● **حسن التصرف فى المنازعة :**

وقال : ما نازعنى أحد قط إلا أخذت أمرى بإحدى ثلاث :

إن كان «فوقى» عرفت له قدره .

وإن كان «دونى» أكرمت نفسى عنه .

وإن كان «مثلى» تفضلت عليه .

● **خمسة لا تشاورهم !**

قال الأحنف :

لا تشاور الجائع حتى يشبع !

ولا العطشان حتى يُرْوَى .

ولا الأسيرَ حتى يُطْلَق .

ولا المُضِل [1] حتى يجد .

ولا الراغب حتى ينجح .

● **وساطة فى الخير :**

أتى الأحنف مصعب بن الزبير يُكلمه فى قوم حبسهم ،

---

(١) من نسي شيئا ، أو فقده ، أو ضاع منه ، فأخذ يبحث عنه فعقله مشغول به .

فقال : أصلح الله الأمير ، إن كانوا حُبسوا فى باطل ، فالحقُّ يُخرجهم ، وإن كانوا حُبسوا فى حق فالعفو يسعهم ! خلاَّهم وعفا عنهم !

● **مروءةُ الأحنف :**

جلس الأحنف على باب زياد حتى يؤذنَ له ، فمرت به «ساقية» فوضعت قِرْبَتَها إلى جواره ، وقالت : ياشيخُ ، احفظ قِربتى حتى أعود ، ومضت ، فأتاه الآذِنُ «الحاجب» وقال له : انهض فالأمير فى انتظارك!

قال : لا ، فإن معى وديعة ، وأقام حتى جاءت صاحبة القربة !

● **هل لك فى الغَداء ؟**

شتمه رجل ، وألح عليه ، فقال له : يا بن أمى ، هل لك فى الغداء ، فإنك منذ اليوم تحدو بجمل «ثَفَال» بطىء؟ (١)

● **الإمساك عن المسىء :**

وشتمه رجل ، فسكت عنه ، فأعاد ، فسكت ! فقال الرجل : والهفاه ! ما يمنعه أن يرد علىّ إلا هَوَانى عليه !

● **الصبر :**

قال الأحنف : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات! وربّ غيظ قد تجرَّعْتهُ مخافَة ما هو أشدُّ منه .

● **الأحنف والمجالس !**

كان إذا أتاه إنسان أو سَعَ له ، فإن لم يجد موضعاً تحرك ليُرِيَهُ أنه يُوَسّع له ، وقال :

(١) لقد عرف السبب ،فعمل على تهدئته بتقديم الطعام له ! ، حيث أضناه طول السفر .

«ما جلست قط مجلسا ، فخفت أن أقام عنه لغيرى» . وكان يقول : «إياك وصدرَ المجلس ؛ فإنه مجلسٌ قُلعَة [1] .

● **خير الإخوان :**

وكان يقول : خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك فى المودّة . وإن احتجت إليه لم ينفعك منها .

وإن كُوثِرْتَ [2] عَضّدك ، وإن احتجت إلى معونته رَفَدَك [3] .

● **العتاب :**

وكان يقول : العتابُ مفتاحُ التَّقَالى «الكراهية» ، والعتاب خير من الحقد .

● **مدى حلمه :**

يقال : إنه لم يُرَ ضَجِرًا قط إلا مرة واحدة فإنه أعطى خياطا قميصاً يخيطُه ، فحبسه حولين [4]

فأخذ الأحنف بيد ابنه «بَحْر» فأتى به الخياط ، وقال له : إذا مِتّ فادفع القميص إلى هذا .

● **العز والعلم :**

كان يقول : كل عِزٍّ لم يوطّد بعِلْم فإلى ذُلٍّ مّا يصير !

● **ما ذممت منى يا أخى ؟**

قال له رجل : «تسمع بالمعَيْدىّ خيرٌ مِنْ أَنْ تراه» فقال : وما ذَمَمْت منى يا أخى ؟

قال : الدّمامة ، وقصر القامة !

(١) أى يقام منه صاحبه ، ويقتلع لإجلاس غيره فيه أجدر منه !

(٢) واجهتك قوة غالبة بكثرتها . وعضدك : قواك وساندك .

(٣) الرفد : العطاء .

(٤) أبقاه عنده سنتين .

قال : لقد عِبْتَ مالم أُؤامر فيه (أى لم أُستَشر فيه) .

● **حكمة من حكم الأحنف !**

قال الأحنف بن قيس :

الكَذُوب لا حيلةَ له . (كثير الكذب الذي أصبح الكذب له عادة) .

والحَسُود لا راحةَ له .

والبخيلُ لا مُروءَةَ له .

والمُلُولُ لا وفاءَ له .

ولا يَسُودُ سَيِّئُ الأخلاق .

ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتمَ ذلك ويتَجَمّل .

وسئل الأحنف بن قيس :

بم بلغت ما بلغت ؟ قال :

لو عاب الناسُ الماءَ ما شربتهُ !

● **أدْوَأ الداء !**

قال الأحنف : ألا أخبركم بأدوأ [1] الداء ؟ الخلق الدنىء ، واللسان البذىء !

● **ذكاء ، ودهاء ، وحلم !**

لَطمَ رجل الأحنفَ بن قيس ، فقال له :

لم فعلت هذا ؟ فقال :

جُعِلَ لى جُعْلٌ (جائزة) على أن ألْطِمَ سيدَ بنى تميم ! فقال

(١) الذي لا داء أشد منه .

له : الأحنفُ : ما صنعتَ شيئاً ، عليك بحارثةَ بن بدر سيد بنى تميم !

فا نطلق الرجلُ ، فلَطِمه ! ، فما كان من حارثة إلا أن قطع يده .

وهذا ما أراده الأحنف .

● **ثلاث للاعتبار :**

قال الأحنف ثلاث فىّ ما أقولهن إلا ليعتَبِرَ مُعْتبر:

ما دخلت بين اثنين حتى يُدخلانى بينهما .

ولا أتيت باب أحـــد من هؤلاء مـــالم أُدْعَ إليـــه - يعنى : السلطان!

ولا حللت [1] حَبْوتى إلى ما يقوم إليه الناس !

● **ماستر الله أكثر :**

أسمعه رجُلٌ فأكثر [2] ، فلما سكت قال له :

يا هذا ، ماستر الله أكثر .

● **الضحك والمزاح :**

وقال : كثرة الضحك تُذْهِبَ الهَيْبة ، وكثرة المُزَاح تُذهب المروءة ، ومن لزم شيئًا عُرِفَ به .

● **أطيب المجالس :**

قيل له : أي المجالس أطيب ؟

---

(١) حَلّ حبوته : نهض ، وكان العربي يجلس علي أليتيه ويضم فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليشتد ، ويقال أيضا احتبي بالثوب كذلك .

(٢) زاد في تناوله . وكان فى رده الحلم فقد قال له : ما خفى من عيوبى أكثر .

قال : ما سلم فيه البصر .

● **الثقة لا يبلغ :**

قال له معاوية : بَلَّغنى عنك الثقة !

فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ!

● **التعلم فى الصغر :**

سمع الأحنف رجلا يقول : «التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر» . فقال الأحنف : الكبير أكبرُ عقلا ، ولكنه أشغل قلبا .

● **من كلمات الأحنف :**

قال بعض بنى تميم : حضرت مجلس الأحنف ، وعنده قوم مجتمعون فى أمرلهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

● إن الكرم منع الحُرَم [1]

● ما أقربَ النّقْمَةَ من أهل البغى !

● لا خير فى لذة تُعْقِبُ ندمًا .

● لم يهلِك من اقتصد ، ولم يفتقر من زَهِد .

● رُبَّ هَزْل قد صار جدّا .

● من أمِنَ الزمان خانَه ، ومن تعظّم عليه أهانه !

● دعوا المُزَاح فإنه يُورث الضَّغَائن ، وخيرُ القول ما صدَّق الفعل .

● احتملوا لمن أدَلّ [2] عليكم ، واقبلوا عذرَ من اعتذر إليكم .

● أطع أخاك وإن عَصَاك ، وصِلْه وإن جفاك .

(١) المنع : الحماية ، والصيانة ، والحُرَم جمع حُرْمة : ما يجب على الإنسان حمايته.

(٢) كما نقول فى تعبيرنا العامى : «ساق الدلال» .

● أنصف من نفسك قبل أن يُنْتَصَفَ مِنك .

● إياكم ومشاورة النساء !

● واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصُحبةَ الجاهل شُؤم، ومن الكرم الوفاء بالذمم .

● ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصلة !، والجفاءَ بعد اللُّطف ، والعداوة بعد الوُدّ!

● لا تكونَنّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا إلى البخل أسرعَ منك إلى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحتَ فى مَثواك ، فأنفِق فى حق ، ولا تكن خازنا لغيرك .

● وإذا كان الغدرُ مَوْجودًا فى الناس فالثِّقَةُ بكل أَحَدٍ عجز .

● اعرِف الحقّ لمن عَرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدِلُ صلةَ العاقل .

قال : فما سمعت كلامًا أبلغ منه ! ، فقمت وحفظته .

● **وسؤال عن العقل :**

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : رأس الأشياء : فيه قِوَامُهَا ، وبه تمامُها . وهو سراج ما بطن ، ومِلاكُ ما عَلَن ، وسائسُ الجدّ ، وزينةُ كلِّ أحد .

لا تستقيمُ الحياةُ إلا به ، ولا تدور الأمورُ إلا عليه!

● **الثناء بعد البلاء :**

لما خطب زياد «خطبته المشهورة» ، قام الأحنف بن قيس ، فقال : الفَرَسُ بِشَدِّهِ [1] ، والسَّيفُ بحدّه ، والمرء بجِدّه .

---

(١) شَدّ على الأعداء : هجم .

وقد بلغ بك جدّك ما أرى ، وإنما الثناء بعد البلاء، فإنا لا نُثنى حتى نَبْلُوَ . ويبقى من الأحنف الأحاديث والذكر !

جنازة الأحنف بن قيس

عندما مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، قال قوم : مات سَيِّد العرب ، فلما دفن قامت «امرأة» على قبره ، فقالت :

لله درّك من مِجَنّ فى جنن [1] ، ومُدَّرَج فى كفن! ، نسأل الذى فجعَنَا بموتك ، وابتلانا بفقدك أن يَجعلَ سبيلَ الخير سبيلكَ ، ودليلَ الرشد دليلَك ، وأن يُوسعَ لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عَطُوفًا ، ولقد كنت فى الحىّ مُسَوّدًا [2] ، وإلى الخليفة مُوفَدًا، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين!

ثم أقْبَلَتْ على الناس ، فقالت : ألا إن أولياءَ الله فى بلاده ، شهود عباده ، وإنى لقائلة حَقّا ، ومُثنيةٌ صدقا ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذى كنت من أجله فى عدة ، ومن الحياء إلى مدة، ومن المقدار إلى غاية ومن الآثار إلى نهاية ، الذى رفع عملك ، لما قضى أجلك ، لقد عشت حميدا مودودًا ، ومت سعيدًا مفقودًا ثم انصرفت وهى تقول:

لله دَرُّك يا أبا بحر

ماذا تَغَيب منك فى القبر؟

ثم انصرفت ، فسئل عنها ، فإذا هى امرأتهُ ، وابنةُ عمه ، فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأة قط ، أبلغَ ، ولا أصدقَ منه !

إنه الوفاء لمن كان أهلا للوفاء !!

---

(١) الجَنَن : القبر ، والمِجَنّ – بكسر الميم وفتح الجيم – التُرس الواقي . (٢) سيدا .